المطلب السابع عشر

صفة البقاء ورؤية الله في الآخرة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد.

فقد تناولنا في المطلب السابق الرد على من زعم من الأشعرية أن استواء الله ﷻ على عرشه هو استيلاء عليه، وبينا أن علو الله تعالى على خلقه في الكتاب والسنة له ثلاثة معان، كما بينا أوجه الرد على شبهات المتكلمين الأشعرية في تعطيل علو الفوقية، وزعمهم الباطل أن العالم كرة ولا يصح أن يكون الله ﷻ فوق جميع الأشياء وتحتها معا مما يحتم تعطيل الاستواء على العرش.

وبينا أيضا أن تعطيل حقيقة الاستواء هو تعطيل لمعاني الربوبية، وأن أوصاف عرش الرحمن تدل على وجود فوقية حقيقية وإن كنا لا نعلم الكيفية، ثم بينا موقف السلف الصالح في كونهم يثبتون لله ﷻ الجهة أم ينفونها عنه؟ وتناولنا أيضا الحديث عن صفة النزول، وارتباطها بإثبات العلو والاستواء.

وفي هذا المطلب نتناول بإذن الله ﷻ الحديث عن صفة الأولية

والبقاء ورؤية الله تعالى في الآخرة، وهل رأى النبي ﷺ ربه في الدنيا رؤية عينية، أم رؤية منامية؟ وذلك من خلال المحاور التالية:

- **أولية الله أولية ذاتية وأولية وصفية وأولية فعلية.**

عقيدة أهل السنة والجماعة في التوحيد مبنية على أن وصف الغنى والكمال وصف ذاتي انفرد به رب العزة والجلال، وأن وصف الحاجة والافتقار وصف ذاتي لكل مخلوق على وجه الاضطرار.

ومن عقيدتهم أيضا أن توحيد الربوبية والأسماء والصفات يقوم على إثبات وصف الأولية لله ﷻ بلا قبلية، والآخرية بلا بعدية، ولازمه وصف الغنى والكمال كوصف ذاتي انفرد به رب العزة والجلال.

ومن عقيدتهم أيضا أن توحيد الله ﷻ بالعبودية يقوم على إثبات وصف الأولية للمخلوق بالقبلية، والآخرية بالبعدية، ولازمه وصف الحاجة والافتقار كوصف ذاتي لكل مخلوق على وجه الاضطرار.

والقصد بالأولية والآخرية إثبات دوام الغنى بالنفس أزلا وأبدا، والانفراد بالاسم والوصف عمن سواه، بحيث يبقى غنيا بذاته على الدوام، لا يحتاج إلى غيره في شيء، وهو أساس الإيمان بتوحيد الأسماء والصفات.

وذلك هو ما عبر عنه الطحاوي بقوله: (ما زال بصفاته قديما قبل خلقه، لم يزدد بكونهم شيئا لم يكن قبلهم من صفته، وكما كان

بصفاته أزليا، كذلك لا يزال عليها أبديا) [(١)].

أي أن الله سبحانه وتعالى لم يزل متصفا بصفات الكمال، صفات الذات وصفات الفعل، ولا يجوز أن يُعتقد أن الله ﷻ وُصف بصفة بعد أن لم يكن متصفا بها، لأن صفاته سبحانه صفات كمال، وفقدها صفة نقص، ولا يجوز أن يكون قد حصل له الكمال بعد أن كان متصفا بضده.

ولا يَرِدُ على هذه صفات الأفعال كالخلق والتصوير، والإماتة، والإحياء، والقبض، والبسط، والطي، والاستواء، والإتيان، والمجيء، والنزول، والغضب، والرضا ونحو ذلك مما وصف به نفسه ﷻ ووصفه به رسوله ﷺ، وإن كنا لا ندرك كنهه وحقيقته التي هي تأويله، ولا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا، ولا متوهمين بأهوائنا، ولكن أصل معناه معلوم لنا.كما قال الإمام مالك لما سئل عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ طه:٥. وغيرها: كيف استوى؟ فقال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول.

ولا بد أن نفرق بين الفعل ووصف الفعل، فكلاهما يتعلقان بالمشيئة، وينفرد الفعل بزيادة التعلق بالزمن، فإن شاء فعل وخلق ما شاء، في الوقت الذي يشاء، كما قال تعالى: ﴿قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفۡعَلُ مَا يَشَآءُ ۝٤٠﴾ آل عمران:٤٠. وقال: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ إِذَا قَضَىٰٓ

(١) متن العقيدة الطحاوية ص٢٠ نشر المكتب الإسلامي، بيروت.

﴿أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٤٧﴾ آل عمران:٤٧.

وقال: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٨﴾ القصص:٦٨.

وقال: ﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝٤٩﴾ الشورى:٤٩.

وإن كانت هذه الأفعال تحدث في وقت دون وقت، كما ورد في حديث الشفاعة: (إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا، لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ) (١).

- **الأولية ودوام الخالقية والقدرة والفاعلية.**

وربما يستشكل البعض وصف الله ﷻ بالأولية مع وصفه بدوام الخالقية والقدرة والفاعلية، فإذا كان الله ﷻ هو الأول الذي ليس قبله شيء، فهل يعني ذلك أنه كان معطلا عن الفعل، ثم أصبح خالقا فاعلا قادرا بعد أن لم يكن؟

والجواب عن ذلك أن يقال: إن الله ﷻ موصوف بأنه مريد فعال، يفعل ما يشاء، وقت ما يشاء كما قال تعالى: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ۝١٥ فَعَّالٌ

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير، سورة الإسراء، باب ذرية من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا ٤/١٧٤٥ (٤٤٣٥). ومسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ١/١٨٥ (١٩٤).

لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾ البروج:١٥/١٦.

وقد بين الله ﷻ أنه قبل وجود السماوات والأرض، لم يكن سوى العرش والماء، وقد شاء أن يوقف علمنا عن بداية المخلوقات عند العرش والماء، فقال الله تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ البقرة:٢٥٥، فالله أعلم، هل توجد مخلوقات قبل العرش والماء أم لا؟ لكننا نعتقد أن وجودها أمر ممكن متعلق بمشيئة الله وقدرته، فالله ﷻ أخبرنا أنه يخلق ما يشاء، ويفعل ما يشاء، وهو على ما يشاء قدير، وأنه متصف بصفات الأفعال.

ومن لوازم الكمال أنه فعال لما يريد على الدوام أزلا وأبدا، سواء كان ذلك قبل العرش والماء، أو بعد وجودهما، لكن الله ﷻ أوقف علمنا عند هذا الحد، كما أن جهلنا بذلك لا يؤثر فيما يخصنا، أو يتعلق بحياتنا من معلومات ضرورية لتحقيق الكمال في حياة الإنسان.

قال سليمان التيمي: (لو سئلت أين الله؟ لقلت: في السماء، فإن قال السائل: أين كان عرشه قبل السماء؟ لقلت: على الماء، فإن قال: فأين كان عرشه قبل الماء؟ لقلت: لا أعلم).

ويعقب الإمام البخاري بقوله: وذلك لقوله تعالى: ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ﴾ البقرة:٢٥٥، يعني إلا بما بين [(١)].

(١) خلق أفعال العباد للإمام البخاري ص ٣٧ نشر دار المعارف، الرياض.

وهذه المسألة تسمى في باب العقيدة بالتسلسل، وهو ترتيب وجود المخلوقات في متوالية مستمرة غير متناهية من الأزل والأبد، ومعتقد السلف الصالح أن التسلسل في الأزل جائز ممكن، ولا يلزم من ذلك أن الخلق يشارك الله ﷻ في الأزلية والأولية.

قال ابن أبي العز الحنفي في بيان اعتقاد السلف: (وَالتَّسَلسُل لفْظٌ مُجْمَل، لَمْ يَرِدْ بِنَفْيِهِ وَلا إِثبَاتِهِ كِتَابٌ وَلا سُنَّةٌ، لِيَجِبَ مُرَاعَاةُ لفْظِهِ، وَهُوَ يَنْقَسِمُ إِلى وَاجِبٍ، وَمُمْتَنِعٍ، وَمُمْكِنٍ)[1].

- **تحقيق المراد لأهل الجنة علّقه الله بمشيئتهم إكراما لهم.**

والتسلسل الواجب علينا اعتقاده هو ما دل عليه العقل والنقل، فالواجب علينا اعتقاد دوام أفعال الرب تعالى في الأبد، ووجود مفعولاته ومخلوقاته على الدوام، وإن تغيرت صورها وعللها، بمعنى أن الوجود في الدنيا صورته مستمرة، ولعلة ذكرها الله ﷻ تتمثل في الابتلاء، ثم بمشيئة الله ﷻ يتغير الوجود في الآخرة إلى صورة أخرى مستمرة، ولعلة ذكرها الله ﷻ تتمثل في الجزاء، وبقاء أهل الخلدين في دار النعيم والشقاء، وأنه كلما انقضى لأهل الجنة نعيم، أو لأهل النار عذاب، أحدث لهما نعيما وعذابا آخر، لا نفاد لها.

قال تعالى عن خلد أهل الجنة: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص١٣٥.

﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ۝٥٧﴾ النساء:٥٧.

وقال تعالى عن خلد أهل النار: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ۝١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۝١٦٩﴾ النساء:١٦٨/١٦٩. وقال سبحانه: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۝٢٣﴾ الجن:٢٣.

ومن ثم فإن الواجب اعتقاده أن وجود المخلوقات في الأبد والمستقبل متوال غير منقطع أبد الآبدين، وهذا هو ما دل عليه كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ، دوام أفعال الرب تعالى في الأبد، وأنه كلما انقضى لأهل الجنة نعيم أحدث لهم نعيما آخر لا نفاد له. فتحقيق المراد لأهل الجنة علقه الله ﷻ بمشيئتهم إكراما لهم، وإظهار لمحبتهم، بعكس الوضع في الدنيا فتحقيق المراد لأهل الدنيا علقه الله ﷻ بمشيئته لا بمشيئتهم، ابتلاء لهم وإظهار لإيمانهم.

قال تعالى في تحقيقه لمشيئة أهل الجنة: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۝٣١ هَـٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝٣٢ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ۝٣٣ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ۝٣٤ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥﴾ ق:٣١/٣٥.

وقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۚ وَلَدَارُ ٱلْـَٔاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٣٠ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِى ٱللَّهُ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٣١﴾ النحل:٣٠/٣١.

وقال سبحانه: ﴿ قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَٰلِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ﴿١٦﴾ ﴾ الفرقان:١٥/١٦.

وقال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ﴾ الشورى:٢٢.

وقال تعالى في بيان أن تحقيق المراد في الدنيا متعلق بمشيئته وابتلائه لخلقه: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ ﴾ الإسراء:١٨.

وقال الله جل شأنه: ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ ﴾ الكهف:٢٣/٢٤.

وإذا كان أهل الجنة في نعيم دائم لا ينقضي، كلما نفذ نعيم أحدث لهم نعيما آخر بمشيئته إكراما لهم، إذا كان هذا هو الوضع في الأبد والمستقبل، فما الذي يمنعه في الأزل والماضي.

قال ابن أبي العز الحنفي: (ولَمَّا كَانَ تَسَلسُل الحَوَادِث فِي المُسْتَقبَل لا يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ هُوَ الآخِرَ الذي ليْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ، فَكَذا تَسَلسُل الحَوَادِث فِي المَاضِي، لا يَمْنَعُ أَنْ يَكُونَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى هُوَ الأَوَّل الذي ليْسَ قَبْلهُ شَيْءٌ. فَإِنَّ الرَّبَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى لمْ يَزَل، وَلا

يَزَال، يَفْعَل مَا يَشَاءُ، وَيَتَكَلَّمُ إِذا يَشَاءُ) [١].

ومن ثم فإن عقيد السلف الصالح أن التسلسل في الأزل جائز ممكن، وفي المستقبل واجب، وفي المؤثرات ممتنع، ولا يلزم من ذلك أن الخلق يشاركون الله ﷻ في الأولية أو الأبدية؛ لأنه فرق كبير بين ما يبقي ببقاء الله ﷻ كذاته وصفاته، وما يبقى بإبقاء الله ﷻ كمخلوقاته ومصنوعاته، لكننا نعتقد أن وجود المخلوقات قبل العرش والماء أمر ممكن يتعلق بمشيئة الله وقدرته، فالله ﷻ أخبرنا أنه يخلق ما يشاء، ويفعل ما يشاء، وهو على ما يشاء قدير.

- **شتان بين ما يبقى ببقاء الله وما يبقي بإبقائه.**

كيف نجمع بين وصف الله ﷻ بأنه الآخر الذي ليس بعده شيء، وبقاء المخلوقات في الجنة ودوامها وأبديتها؟

لا بد هنا أن نفرق في قضية البقاء بين ما يبقى ببقاء الله ﷻ، وما يبقي بإبقاء الله ﷻ، أو نفرق بين بقاء الذات والصفات الإلهية، وبقاء المخلوقات التي وجدت بالصفات الإلهية، فالجنة مثلا باقية بإبقائه، وصفاته باقية ببقائه، وشتان بين ما يبقي ببقائه، وما يبقي بإبقائه، فالجنة مخلوقة خلقها الله ﷻ وكائنة بأمره، ورهن مشيئة وحكمه، فمشيئة الله ﷻ حاكمة علي ما يبقى وما لا يبقى.

ومن ثم فإن السلف يعتبرون خلد الجنة وأهلها إلى ما لا نهاية، إنما

---

(١) السابق ص١٣٤.

هو بإبقاء الله ﷻ وإرادته، فالبقاء عندهم ليس من طبيعة المخلوقات ولا من خصائصها الذاتية، بل من طبيعتها جميعا كمخلوقات خلقها الله ﷻ الفناء، فالخلود ليس لذات المخلوق أو طبيعته، وإنما هو بمدد دائم من الله تعالى، وإبقاء مستمر لا ينقطع.

أما صفات الله ﷻ ومنها وجهه ويده وعينه وعلوه، ورحمته وعزته وقوته وملكه، فهي صفات باقية ببقائه ملازمة لذاته، باقية ببقاء ذاته سبحانه، حيث البقاء صفة ذاتية له، كما أن الأزلية صفة ذاتية لله تعالى، فلا بد أن نفرق بين صفات الأفعال الإلهية وأبديتها، وبين مخلوقات الله الأبدية وطبيعتها. وقد فرق القرآن الكريم بين نوعين من البقاء:

الأول: ما ورد في قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ الرحمن:٢٦/٢٧. وقوله سبحانه: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ القصص:٨٨. فالآيات دلت على صفة من صفات الذات، وهى صفة الوجه، ودلت على أن بقاء الصفة ببقاء الذات، فأثبتت بقاء الذات بصفاتها، وأثبت فناء ما دونها، أو إمكانية فنائه، إذ أن الله ﷻ هو الأول والآخر، وهو قبل كل شيء، وبعد كل شيء وكما جاء في الحديث المرفوع: (اللهُمَّ أَنْتَ الأَوَّل فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ) [1].

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم عن أبي هريرة ﷺ في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ٤/٢٠٨٤ (٢٧١٣).

والثاني: ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٣٦﴾ الشورى:٣٦، وقوله: ﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧﴾ الأعلى:١٧. فبقاء المخلوقات الذي ورد في الآيات لا لذاته، ولكن بعطاء دائم مستمر من الله ﷻ، لإكرام أهل طاعته، وإنفاذ عدله في أهل معصيته. ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا ٣١ حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبٗا ٣٢ وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابٗا ٣٣ وَكَأۡسٗا دِهَاقٗا ٣٤ لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا كِذَّٰبٗا ٣٥ جَزَآءٗ مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابٗا ٣٦﴾ النبأ: ٣١/٣٦.

• الأدلة النقلية على إثبات رؤية الله في الآخرة.

اعتقاد أهل السنة والجماعة في الرؤية أن المؤمنين يرون الله سبحانه وتعالى يوم القيامة عيانا بأبصارهم، كما يرون الشمس صحوا، ليس دونها سحاب، وكما يرون القمر ليلة البدر، لا يضامون في رؤيته، أي لا يلحقهم ضيم في طلب رؤيته حين يُرى، يرونه سبحانه وهم في أرض المحشر أو عرصات القيامة، ثم يرونه بعد دخول الجنة، كما يشاء الله سبحانه فيكرمهم، ويتجلى لهم من فوقهم، ولا يراه الكافرون، كما قال تعالى في شأنهم: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾ المطففين:١٥.

قال الربيع بن سليمان: حضرت محمد بن إدريس الشافعي وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقول في قول الله ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾ المطففين:١٥. فقال الشافعي: لما أن حجب

هؤلاء في السخط، كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا[(١)].

وقال تعالى في إثبات رؤية المؤمنين له في الآخرة: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ القيامة:٢٢/٢٣.

قال أبو الحسن الأشعري: (ناضرة يعني مشرقة، إلى ربها ناظرة يعني رائية، وليس يخلو النظر من وجوه نحن ذاكروها: إما أن يكون الله سبحانه عنى نظر الاعتبار، كقوله تعالى: ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ ﴾ الغاشية:١٧. أو يكون عنى نظر الانتظار، كقوله تعالى: ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ يس:٤٩. أو يكون عنى نظر التعطف، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ آل عمران:٧٧. أو يكون عنى نظر الرؤية. وإذا فسدت الأقسام الثلاثة صح القسم الرابع من أقسام النظر، وهو أن معنى قوله: ﴿ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ القيامة:٢٣. أنها رائية ترى ربها ﷻ)[(٢)].

وقال تعالى: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ

---

(١) انظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ٥٠٦/٣. وانظر شرح العقيدة الطحاوية ص٢٠٦. وبيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ٤١٦/٢.

(٢) الإبانة عن أصول الديانة ص٣٥.

أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ يونس:٢٦. وقال: ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ﴿٣٥﴾ ﴾ ق:٣٥.

روى مسلم من حديث صُهَيْبٍ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: (إذا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا، أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلنَا الجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنْ النَّارِ؟ قَال: فَيَكْشِفُ الحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ النَّظَرِ إِلى رَبِّهِمْ ﷻ. ثُمَّ تَلا هَذهِ الآيَةَ: ﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ ﴾ [(١)].

روى البخاري عن جَرِير بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: (كُنَّا جُلوسًا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ إذ نَظَرَ إلى القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، قَال: إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذا القَمَرَ، لا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لا تُغْلَبُوا عَلى صَلاةٍ قَبْل طُلوعِ الشَّمْسِ، وَصَلاةٍ قَبْل غُرُوبِ الشَّمْسِ فَافْعَلوا) [(٢)].

وروى البخاري من حديث عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رضي الله عنه أنه قال: (قَال رَسُول اللهِ ﷺ: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلا سَيُكَلمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ١/١٦٣ (١٨١).

(٢) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ٦/٢٧٠٣ (٦٩٩٧). ومسلم في كتاب المساجد، باب فضل صلاتي الصبح والعصر والمحافظة عليهما ١/٤٣٩ (٦٣٣).

تُرْجُمَانٌ وَلا حِجَابٌ يَحْجُبُهُ) [(١)].

وروى البخاري من حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ قَيْسٍ عَنْ أَبِيهِ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: (جَنَّتَان مِنْ فِضَّةٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَان مِنْ ذهَبٍ، آنِيَتُهُمَا وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ القَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلى رَبِّهِمْ، إِلا رِدَاءُ الكِبْرِ عَلى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ) [(٢)].

وروى البخاري من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أنه قال: (قال رَسُول اللهِ ﷺ: مَنْ اقْتَطَعَ مَال امْرِئٍ مُسْلمٍ بِيَمِينٍ كَاذِبَةٍ، لقِيَ اللهَ وَهُوَ عَليْهِ غَضْبَانُ ، قَال عَبْدُ اللهِ ثمَّ قَرَأَ رَسُول اللهِ ﷺ مِصْدَاقَهُ مِنْ كِتَابِ اللهِ جَل ذِكْرُهُ: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ آل عمران:٧٧) [(٣)].

---

(١) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ٢٧٠٩/٦ (٧٠٠٥). ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة ٧٠٣/٢ (١٠١٦).

(٢) رواه البخاري في كتاب التفسير، سورة الرحمن، باب قوله: ومن دونهما جنتان ١٨٤٨/٤ (٤٥٩٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ١٦٣/١ (١٨٠).

(٣) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ٢٧١٠/٦ (٧٠٠٧)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب وعيد من اقتطع حق مسلم بيمين فاجرة بالنار ١٢٣/١ (١٣٨).

وروى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَال: (ثلاثةٌ لا يُكَلمُهُمْ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلا يَنْظُرُ إِليْهِمْ، رَجُل حَلفَ عَلى سِلعَةٍ لقَدْ أَعْطَى بِهَا أَكْثرَ مِمَّا أَعْطَى وَهُوَ كَاذبٌ، وَرَجُل حَلفَ عَلى يَمِينٍ كَاذبَةٍ بَعْدَ العَصْرِ، ليَقْتَطِعَ بِهَا مَال امْرِئٍ مُسْلمٍ، وَرَجُل مَنَعَ فَضْلْ مَاءٍ، فَيَقُول اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ: اليَوْمَ أَمْنَعُكَ فَضْلي كَمَا مَنَعْتَ فَضْل مَا لمْ تَعْمَل يَدَاكَ) [١].

قال ابن القيم: (دل القرآن والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام وأهل الحديث على أن الله سبحانه يُرى يوم القيامة بالأبصار عيانا، كما يرى القمر ليلة البدر صحوا، وكما ترى الشمس في الظهيرة) [٢].

وقال الحافظ عبد الغني المقدسي في عقيدته: (وأجمع أهل الحق، واتفق أهل التوحيد والصدق، أن الله يُرى في الآخرة كما جاء في كتابه، وصح به النقل عن رسوله ﷺ) [٣].

وقال أبو الحسن الأشعري: (وأجمعوا على أن المؤمنين يرون الله ﷻ

---

(١) رواه البخاري في كتاب المساقاة، باب من رأى أن صاحب الحوض والقربة أحق بمائه ٢/٨٣٤ (٢٢٤٠).

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح لابن القيم ص٢٤١.

(٣) عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي ص٣٠، وانظر تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي، للدكتور عبد الرزاق بن عبد المحسن العباد ص١٧١، طبعة غراس للنشر والتوزيع.

يوم القيامة بأعين وجوههم، على ما أخبر به تعالى) [(١)].

وقال الإمام الطحاوي: (والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية، كما نطق به كتاب ربنا: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ القيامة:٢٢/٢٣. وتفسيره على ما أراد الله تعالى وعَلمه) [(٢)].

- **مذاهب الناس في رؤية العبد لربه.**

المسلمون في رؤية الله ﷻ على ثلاثة أقوال:

القول الأول: وهو قول الصحابة والتابعين وسائر السلف المتقدمين ومن سار على نهجهم من أئمة المسلمين، جميعهم على أن الله ﷻ يرى في الآخرة بالأبصار عيانا، وأن أحدا لا يراه في الدنيا، وقد تقدمت الأدلة مفصلة على اعتقادهم.

القول الثاني: قول نفاة الجهمية، أن الله ﷻ لا يرى في الدنيا، ولا في الآخرة. وقد أجمعت المعتزلة على ذلك.

القول الثالث: قول غلاة الصوفية فيزعمون أنه يرى في الدنيا والآخرة، ولا يرى في الدنيا والآخرة، كقول ابن عربي صاحب الفصوص وأمثاله من أصحاب وحدة الوجود الذين يرون الذات الإلهية متجلية في الوجود بأسره.

---

(١) رسالة إلى أهل الثغر ص٢٣٧ نشر مكتبة العلوم والحكم السعودية.

(٢) متن العقيدة الطحاوية ص٢٦.

قال ابن تيمية: (وحلولية الجهمية يجمعون بين النفي والإثبات فيقولون: إنه لا يرى في الدنيا ولا في الآخرة، وإنه يرى في الدنيا والآخرة، وهذا قول ابن عربي صاحب الفصوص وأمثاله؛ لأن الوجود المطلق الساري في الكائنات لا يرى، وهو وجود الحق عندهم، ثم من أثبت الذات قال: يرى متجليا فيها، ومن فرق بين المطلق والمعين قال: لا يرى إلا مقيدا بصورة، وهؤلاء قولهم دائر بين أمرين: إنكار رؤية الله، واثبات رؤية المخلوقات، ويجعلون المخلوق هو الخالق، أو يجعلون الخالق حالا في المخلوق) [(١)].

القول الرابع: وهو قول الأشعرية وأغلب المتكلمين يقولون: إن الله ﷻ لا يرى في الدنيا، ويرى في الآخرة لا في جهة. فاشترطوا شروطا جعلوا الرؤية فيها من المستحيلات، ولذلك قال بعضهم: لا خلاف بيننا وبين المعتزلة في الرؤية، بل كلنا على الرؤية العلمية لا البصرية، ولذلك قالوا بجواز رؤية أعمى في الصين بَقّة في الأندلس، ولا شك أن رؤية أعمى في الصين بَقّة في الأندلس من الرؤية العلمية، وليست من الرؤية البصرية في شيء [(٢)].

---

(١) مجموع الفتاوى ٣٣٧/٢.

(٢) كتاب التوحيد للماتريدي ص٥٨، والعقائد النسفية ص٧٣، وحاشية الكستري على شرح العقائد ص١٠٨، نقلا عن اعتقاد أهل السنة شرح أصحاب الحديث، وانظر المواقف لعضد الدين الإيجي ١٩٩/٣ نشر دار الجيل، بيروت، وعمدة القاري لبدر الدين العيني ٢٤٤/٢٢، نشر دار إحياء التراث العربي.

• الرد على شبهات المعتزلة في نفي الرؤية.

استدلت المعتزلة بقوله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ الأعراف:١٤٣. وبقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ الأنعام:١٠٣. على نفي رؤية الله ﷻ، مع العلم بأن استدلالهم بالقرآن على عدم الرؤية، ليس عملا منهم بتصديق خبر الله ﷻ عن نفسه، وتقديما لكلام الله ﷻ على عقولهم وأصولهم المبتدعة، ولكنه دليل ثانوي عندهم يأتي في المقام الثاني بعد دلالة العقل التي يقطعون بها على أن إثبات رؤية الله ﷻ تجسيم وتشبيه باطل، وهذه مجاهرة برد كلام الله ورسوله ﷺ وتعطيله عن مدلوله بشبهاتهم الفاسدة .

وقد ذكر ابن أبي العز الحنفي في شرحه لاعتقاد الإمام الطحاوي أن الآيتين دليل عليهم، وعلى إثبات رؤية الله ﷻ، أما الآية الأولى فالاستدلال منها على ثبوت رؤية الله من وجوه ﷻ :

أحدها: أنه لا يظن بكليم الله ورسوله الكريم، وأعلم الناس بربه في وقته، أن يسأل ما لا يجوز عليه، بل هو عندهم من أعظم المحال.

الثاني: أن الله ﷻ لم ينكر عليه سؤاله، ولما سأل نوح عليه السلام ربه نجاة ابنه أنكر سؤاله وقال: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾﴾ هود:٤٦ .

الثالث: أنه تعالى قال: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾. ولم يقل: إني لا أرى، أو لا تجوز رؤيتي، أو لست بمرئي. والفرق بين الجوابين ظاهر، ألا ترى أن

من كان في كمه حجر فظنه رجل طعاما، فقال: أطعمنيه، فالجواب الصحيح: أنه لا يؤكل. أما إذا كان طعاما صح أن يقال: إنك لن تأكله. وهذا يدل على أنه سبحانه مرئي، ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى.

الرابع: وهو قوله: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ الأعراف:١٤٣. فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته، لا يثبت للتجلي في هذه الدار، فكيف بالبشر الذي خلق من ضعف؟

الخامس: أن الله سبحانه قادر على أن يجعل الجبل مستقرا، وذلك ممكن، وقد علق به الرؤية، ولو كانت محالا لعلقها بمستحيل، كما قال تعالى عن استحالة دخول الكفار الجنة: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٤٠﴾ الأعراف:٤٠.

السادس: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾ الأعراف:١٤٣ فإذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلى لرسوله ﷺ وأوليائه في دار كرامته؟ ولكن الله ﷻ أعلم موسى ﷺ أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر أضعف

السابع: أن الله ﷻ كلم موسى ﷺ وناداه وناجاه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم، وأن يسمع مخاطبه كلامه بغير واسطة، فرؤيته أولى

بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار رؤيته إلا بإنكار كلامه، وقد جمعوا بينهما.

الثامن: أن دعواهم تأييد النفي بلن تراني، وأن ذلك يدل على نفي الرؤية في الآخرة ففاسد، فإنها حتى لو قيدت بالتأبيد، لا يدل على دوام النفي في الآخرة، فكيف إذا أطلقت؟ قال تعالى عن اليهود وعدم تمنيهم الموت: ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ البقرة:٩٥. وقال عن جميع من دخل النار في الآخرة: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ الزخرف:٧٧.

ولأن لن لو كانت للتأبيد المطلق، لما جاز تحديد الفعل بعدها، وتعليقه بثبوت الجبل، وقد جاء مثل ذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَبِي أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ يوسف:٨٠. فثبت أن لن لا تقتضي النفي المؤبد. قال ابن مالك في ألفيته:

ومن رأى النفي بلن مؤبدا : فقوله أردد وسواه فاعضدا [(١)].

وأما الآية الثانية وهي قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ الأنعام:١٠٣. فالاستدلال بها على ثبوت الرؤية من وجه حسن لطيف، وهو أن الله تعالى إنما ذكرها في سياق التمدح، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالصفات الثبوتية، وأما العدم المحض فليس بكمال، فلا يمدح به، وإنما يمدح الرب تعالى

(١) شرح العقيدة الطحاوية ص٢٠٦ بتصرف.

بالنفي إذا تضمن أمرا وجوديا وهو كمال المقابل، كمدحه تعالى بنفي السنة والنوم المتضمن كمال القيومية ،ونفي الموت المتضمن كمال الحياة، ونفي اللغوب والإعياء المتضمن كمال القدرة، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال الربوبية والإلوهية، وقهره ونفي الأكل والشرب المتضمن كمال صمديته وغناه، ونفي الشفاعة عنده إلا بإذنه المتضمن كمال توحده وغناه عن خلقه، ونفي الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه، ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته، ونفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته.

ولهذا لم يمدح الله ﷻ نفسه بعدم محض لم يتضمن أمرا ثبوتيا، فإن المعنى في الآية أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به فقوله: ﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴾ الأنعام:١٠٣. يدل على كمال عظمته، وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لكمال عظمته لا يدرك بحيث يحاط به، فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية، كما قال تعالى:﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ٦١ ﴾ الشعراء:٦١. فلم ينف موسى عليه السلام الرؤية، وإنما نفى الإدراك، فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه، فالرب تعالى يرى ولا يدرك، كما يعلم ولا يحاط به علما.

وهذا هو الذي فهمه الصحابة ﷺ والأئمة من الآية، كما ذكرت

أقوالهم في تفسير الآية، بل هذه الشمس المخلوقة لا يتمكن رائيها من إدراكها على ما هي عليه.

• الأدلة على أن النبي لم ير ربه في الدنيا بعينيه.

أجمعت الأمة على أن الله ﷻ لا يراه أحد في الدنيا بعينه. لما رواه مسلم من حديث عَبْد اللهِ بْن عُمَر أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ انْطَلَقَ مَعَ رَسُول اللهِ ﷺ فِي رَهْطٍ قِبَل ابْنِ صَيَّادٍ، حَتَّى وَجَدَهُ يَلعَبُ مَعَ الصِّبْيَان.. ثمَّ ذكَرَ الدَّجَّال فقَال: إنِّي لأنْذرُكُمُوهُ، مَا مِنْ نَبِيٍّ إلا وَقَدْ أَنْذرَهُ قَوْمَهُ، لقَدْ أَنْذرَهُ نُوحٌ قَوْمَهُ، وَلكِنْ أَقُول لكُمْ فِيهِ قَوْلا لمْ يَقُلهُ نَبِيٌّ لقَوْمِهِ، تَعَلمُوا أَنَّهُ أَعْوَرُ، وَأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالى ليْسَ بِأَعْوَرَ، تَعَلمُوا أَنَّهُ لنْ يَرَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رَبَّهُ ﷻ حَتَّى يَمُوتَ [(١)].

وروى البخاري عَنْ عَائِشَة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنها قَالتْ: (مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ، وَلكِنْ قَدْ رَأَى جِبْرِيل فِي صُورَتِهِ وَخَلقُهُ سَادٌّ مَا بَيْنَ الأُفُقِ) [(٢)].

وروى مسلم عَنْ مَسْرُوق ﷺ قَال: (كُنْتُ مُتَّكِئًا عِنْدَ عَائِشَةَ فَقَالتْ: يَا أَبَا عَائِشَةَ، ثلاث مَنْ تَكَلمَ بِوَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلى اللهِ الفِرْيَةَ، قُلتُ: مَا هُنَّ؟ قَالتْ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ

---

(١) رواه مسلم في كتاب الفتن ، باب ذكر ابن صياد ٤/٢٢٤٥ (١٦٩).

(٢) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه ٣/١١٨١ (٣٠٦٢).

أَعْظَمَ عَلى اللهِ الفِرْيَةَ. قَال: وَكُنْتُ مُتَّكِئًا فَجلسْتُ فَقلتُ: يَا أُمَّ المُؤْمِنينَ، أَنْظِرِينِي وَلا تَعْجَلينِي، أَلَمْ يَقُل اللهُ ﷻ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ التكوير:٢٣. ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ النجم:١٣. فَقَالتْ: أَنَا أَوَّل هَذهِ الأُمَّةِ سَأَل عَنْ ذلكَ رَسُول اللهِ ﷺ فَقَال: إِنَّمَا هُوَ جِبْريل، لمْ أَرَهُ عَلى صُورَتِهِ التِي خُلقَ عَليْهَا غَيْرَ هَاتَيْنِ المَرَّتَيْنِ، رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنْ السَّمَاءِ، سَادًّا عِظَمُ خَلقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلى الأَرْضِ. فَقَالتْ: أَوَ لمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾ الأنعام:١٠٣. أَوَ لمْ تَسْمَعْ أَنَّ اللهَ يَقُول: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ الشورى:٥١. قَالتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّ رَسُول اللهِ ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِنْ كِتَابِ اللهِ، فَقَدْ أَعْظَمَ عَلى اللهِ الفِرْيَةَ وَاللهُ يَقُول: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ المائدة:٦٧. قَالتْ: وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ يُخْبِرُ بِمَا يَكُونُ فِي غَدٍ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلى اللهِ الفِرْيَةَ، وَاللهُ يَقُول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ النمل:٦٥) [(١)].

وفي رواية عند مسلم عَنْ مَسْرُوق أنه قال: (سَأَلتُ عَائِشَةَ هَل رَأَى مُحَمَّدٌ ﷺ رَبَّهُ؟ فَقَالتْ: سُبْحَانَ اللهِ، لقَدْ قَفَّ شَعَرِي لمَا قُلتَ، وَسَاقَ

---

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل: ولقد رآه نزلة أخرى ١/١٥٩ (١٧٧).

الحَدِيث بِقِصَّتِهِ) [(١)].

وروى مسلم من حديث أَبِي ذرٍّ ﷺ أنه قَال: (سَأَلتُ رَسُول اللهِ ﷺ: هَل رَأَيْتَ رَبَّكَ؟ قَال: نُورٌ أَنَّى أَرَاهُ) [(٢)].

وعند الترمذي وصححه الألباني من حديث عبد الله بن شقيق قال: قلت لأبي ذر ﷺ: لو رأيت رسول الله ﷺ لسألته، قال: عما كنت تسأله؟ قال: إذن لسألته هل رأى ربه؟ فقال: قد سألته أنا، قلت: فما قال؟ قال: نور أنى أراه. وفي رواية قال: رأيت نورا [(٣)].

• **الخلاف في الرؤية المنامية لله دون الرؤية العينية.**

ذكر ابن تيمية أن أئمة المسلمين اتفقوا على أن أحداً من المؤمنين لا يرى الله ﷻ بعينه في الدنيا، ولم يتنازعوا إلا في النبي ﷺ. وقد اتفقوا أيضا على أنه ﷺ لم ير ربه بعينه في الأرض، أو أن الله ﷻ ينزل له إلى الأرض، وليس عن النبي ﷺ قط حديث فيه أن الله ﷻ نزل له إلى الأرض، وعلى هذا دلت الآثار الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ والصحابة ﷺ وأئمة المسلمين.

ولم يثبت عن ابن عباس ﷺ، ولا عن الإمام أحمد وأمثالهما أنهم

---

(١) السابق ١/١٦٠ (١٧٧).

(٢) السابق، باب في قوله عليه السلام: نور أنى أراه ١/١٦١ (١٧٨).

(٣) رواه الترمذي في كتاب التفسير، باب ومن سورة النجم ٥/٣٩٦ (٣٢٨٢)، وصححه الشيخ الألباني في مشكاة المصابيح (٥٦٥٩).

قالوا: رأى ربه بعينه، وليس في شيء من أحاديث المعراج الثابتة أنه رآه بعينه. وقول النبي ﷺ: (أَتَانِي اللَّيْلَةَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالى فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ .. الحديث) [1]. رواه الترمذي وغيره، إنما كان بالمدينة في المنام، هكذا جاء مفسرا.. وقد ثبت بنص قرآني أن موسى عليه السلام قيل له: لن تراني، وأن رؤية الله عز وجل أعظم من إنزال كتاب من السماء، فمن قال أن أحدا من الناس يراه، فقد زعم أنه أعظم من موسى بن عمران عليه السلام، ودعواه أعظم من دعوى من ادعى أن الله عز وجل أنزل عليه كتابا من السماء [2].

وقال ابن تيمية: (وليس في الأدلة ما يقتضي أنه رآه بعينه ﷺ، ولا ثبت ذلك عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم، ولا في الكتاب والسنة ما يدل على ذلك، بل النصوص الصحيحة على نفيه، كما في صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: نور أنى أراه.

وقد قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ﴾ الإسراء:١. ولو كان قد أراه نفسه بعينه لكان ذكر ذلك أولى.

---

(١) رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن، سورة ص ٥/٣٦٦ (٣٢٣٣) وصححه الشيخ الألباني، وانظر صحيح وضعيف سنن الترمذي (٣٢٣٣)، والسلسلة الصحيحة (٣١٦٩).

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢/٣٣٦ بتصرف.

وكذلك قوله: ﴿ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ ﴾ النجم:١٢. وقوله: ﴿ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ﴾ النجم:١٨. ولو كان رآه بعينه لكان ذكر ذلك أولى. وفي الصحيح عن ابن عباس ﷺ في قوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ﴾ الإسراء: ٦٠. قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به [(١)].

وهذه رؤيا الآيات لأنه أخبر الناس بما رآه بعينه ليلة المعراج، فكان ذلك فتنة لهم، حيث صدقه قوم، وكذبه قوم، ولم يخبرهم أنه رأى ربه بعينه، وليس في شئ من أحاديث المعراج الثابتة ذكر ذلك، ولو كان قد وقع ذلك، لذكره كما ذكر ما دونه) [(٢)].

وذكر ابن تيمية أن الإنسان قد يرى ربه في المنام ويخاطبه، فهذا حق في الرؤيا، ولا يجوز أن يعتقد أن الله ﷻ في نفسه مثل ما رأى في المنام، فإن سائر ما يرى في المنام، لا يجب أن يكون مماثلاً، وهذه الرؤية شأنها شأن سائر الرؤى المنامية تُعبر، فإن النائم لا يرى الله ﷻ حقيقة، فرؤيا المنام لها حكم غير رؤيا الحقيقة في اليقظة، ولها تعبير وتأويل، لما فيها من الأمثال المضروبة للحقائق [(٣)].

(١) رواه البخاري في فضائل الصحابة، باب المعراج ٣/١٤١٢ (٣٦٧٥).
(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٦/٥١٠.
(٣) السابق ٣/٣٩٠ بتصرف.

• إثبات توحيد الله في صفة اليدين والأصابع والعينين.

قال بعض الأشعرية المعاصرين الذين يجعلون إثبات ما أثبته الله ﷻ لنفسه من الصفات تشبيها وتجسيما: (وليت شعري، أيثبت هؤلاء الجاهلون كل ما ورد من تلك الظواهر، فيثبتون له يدا بمقتضى قوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ الفتح:١٠؟ أم يدين بمقتضى قوله: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ المائدة:٦٤؟ أم أيدٍ عديدة بمقتضى قوله: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا فَهُمۡ لَهَا مَٰلِكُونَ ٧١﴾ يس:٧١) [(١)].

وقوله باطل لأن مذهب السلف الصالح في اليدين، ليس فيه ما يحاول إثباته من التناقض، بل هو الحق الذي اجتمعت عليه الأدلة النقلية الظاهرة الجلية. فمثل هذا الأشعري يحاول أن يجعل صفة اليدين شيئا معنويا لا حقيقة له، كما هو مذهب المتكلمين ومتخفيا خلف ستار ما يسمى بالنصوص التي توهم التشبيه.

والحقيقة أن مذهب السلف هو عين الكمال والتنزيه، فمذهب أهل السنة والجماعة هو إثبات ما أثبته الله ﷻ لنفسه، وما أثبته رسوله ﷺ من أن لله تعالى يدين حقيقيتين، هما من صفات ذاته، ونثبتهما من غير تمثيل ولا تكييف، ومن غير تعطيل ولا تحريف.

وقد تنوعت الأدلة في كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ على إثبات اليدين لله ﷻ وإثبات الأصابع لهما، وإثبات القبض بهما، وتثنيتهما،

---

(١) حق الله على العباد للشيخ العفيفي ص١٠٣.

فمن ذلك:

١- قول الله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ ص:٧٥. وقد ترجم البخاري لهذه الآية بابا في كتاب التوحيد من صحيحه؛ لأنها نص صريح في بيان مذهب أهل السنة، ولا يقبل التأويل بحال من الأحوال [(١)].

٢- وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْۘ بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيۡفَ يَشَآءُۚ﴾ المائدة:٦٤. فالله ﷻ لم ينكر على اليهود وصفهم له باليد، وإنما أنكر عليهم وصف اليد بالغلول، وهذه الآية من الأدلة الواضحة على إثبات يدين لله ﷻ على الحقيقة، والآيات في ذلك كثيرة.

٣- وفي حديث الشفاعة المشهور الذي رواه البخاري في قوله ﷺ: (فَيَأْتُونَ آدَمَ فَيَقُولونَ: أَنْتَ أَبُو النَّاسِ، خَلقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَأَسْجَدَ لكَ مَلائِكَتَهُ، وَعَلمَكَ أَسْمَاءَ كُل شَيْءٍ) [(٢)]. فجعلوا خلق الله ﷻ لآدم عليه السلام بيده ميزة له من بين الخلق، فدل على أن اليد على ظاهرها كما يليق بجلال الله ﷻ.

---

(١) انظر كتاب التوحيد في صحيح البخاري، باب قول الله تعالى: لما خلقت بيدي ٦/٢٦٩٥.

(٢) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: لما خلقت بيدي ٦/٢٦٩٥ (٦٩٧٥)، وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها ١/١٨٠ (١٩٣) .

٤- ومن الأحاديث الدالة على أن لله ﷻ يدين حقيقة ما رواه البخاري عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (يَدُ اللهِ مَلأَى، لا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَّاءُ الليْلِ وَالنَّهَارَ، وَقَال: أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَقَال: عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ الأُخْرَى المِيزَانُ، يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ) [١].

٥- كما أن اليد وصفت بأوصاف تدل على أنها حقيقية منها القبض، وهو في اللغة إمساك الشئ بجميع كف اليد، فقبض اليد على الشئ، جمعها له بعد تناوله[٢]. وعند البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (إنَّ اللهَ يَقْبِضُ يَوْمَ القِيَامَةِ الأَرْضَ، وَتَكُونُ السَّمَوَاتُ بِيَمِينِهِ، ثمَّ يَقُول: أَنَا المَلكُ) [٣].

وقد وردت رواية أخرى في صحيح مسلم فيها ذكر الشمال لله تعالى، وإن كان لفظ الشمال فيه مقال. فمن حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: (يَطْوِي اللهُ ﷻ السَّمَاوَاتِ يَوْمَ القِيَامَةِ، ثمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ اليُمْنَى، ثمَّ يَقُول: أَنَا المَلكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ

---

(١) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: لما خلقت بيدي ٦/٢٦٩٥ (٦٩٧٦)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف ٢/٦٩١ (٩٩٣).

(٢) المفردات للراغب ص٣٩١.

(٣) رواه البخاري في التوحيد، باب قوله تعالى: لما خلقت بيدي ٦/٢٦٩٧ (٦٩٧٧)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار ٤/٢١٤٨ (٢٧٨٧) .

المُتَكَبِّرُونَ؟ ثمَّ يَطْوِي الأَرَضِينَ بِشِمَالِهِ، ثمَّ يَقُول: أَنَا المَلِكُ، أَيْنَ الجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ) [(١)]. فهذا الحديث يدل دلالة واضحة على إثبات اليدين لله تعالى.

وأما ما ذكر في حديث عبد الله بن عمرو ﵄ أن النبي ﷺ: (إنَّ المُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَنِ ﷻ، وَكِلتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ، الذِينَ يَعْدِلونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْليهِمْ وَمَا وَلوا) [(٢)]. فلا تعارض بينه وذكر اليمين والشمال في الحديث السابق، فكلتا يديه يمين بالنسبة للكمال، فإحدى يديه تبارك وتعالى فيها الفضل كما دل على ذلك حديث يد الله ﷻ ملأى، لا يغيضها نفقة سحاء الليل والنهار. أما اليد الأخرى ففيها العدل، لما ورد أن بيده الأخرى الميزان، يخفض ويرفع. ومعلوم أن الفضل يمن والعدل يمن، وكلاهما كمال لله تعالى فكلتا يديه يمين، أما بالنسبة لتفاضل صفاته فالفضل أيمن من العدل، فاليمين فيها الفضل، والشمال فيها العدل.

٥- ووصفت اليد أيضا بالأصابع التي تدل على أن اليد حقيقية وليست مجازية كما ادعى أهل التأويل الباطل، ففي الحديث الذي رواه البخاري من حديث عبد الله بن مسعود ﵁: (أَنَّ يَهُودِيًّا جَاءَ إِلى النَّبِيِّ ﷺ فَقَال: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّ اللهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ عَلى إِصْبَعٍ، وَالأَرَضِينَ عَلى إِصْبَعٍ، وَالجِبَال عَلى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلى إِصْبَعٍ،

---

(١) رواه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار ٤/٢١٤٨ (٢٧٨٨).

(٢) رواه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضل الإمام العادل ٣/١٤٥٨ (١٨٢٧).

وَالخَلائِقَ عَلى إِصْبَعٍ، ثمَّ يَقُول: أَنَا المَلكُ، فَضَحِكَ رَسُول اللهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ثمَّ قَرأَ: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ الزمر:٦٧. فَلقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَضْحَكُ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ تَعَجُّبًا وَتَصْدِيقًا لقَوْلِهِ) [1].

- **الرد على شبهة تأويل اليدين بالنعمة أو القدرة.**

أغلب المتكلمين يؤولون اليدين إما بالقدرة أو النعمة تارة أو الخزائن تارة أخرى، فيقولون في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ ص:٧٥. أي بقدرتي. وقد أرادوا بذلك أن يجعلوها معان لا تدل على يدين حقيقيتين ليس كمثله شيء فيهما كما أراد الله ﷻ من الآية، بل أرادوا أن يجعلوها شيئا مجازيا وأن يخترعوا لها أي معنى يوافق قواعدهم وأصولهم ولو كان ذلك باطلا ولا دليل عليه. والرد عليهم من هذه الوجوه:

١- أن تأويل اليدين بالقدرة أو النعمة في سياق التثنية قول على الله ﷻ بلا علم، ولا قال به أحد من السلف الصالح.

٢- أن تناقضهم يدل على بطلان قولهم، لأنهم لو كانوا على الحق لاتفقوا على معنى واحد، فهل اليدان قدرة، أم نعمة، أم خزائن؟ وهل

(١) رواه البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالى:لما خلقت بيدي ٦/٢٦٩٧ (٦٩٧٨)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار ٤/٢١٤٨ (٢٧٨٦).

يمكن الجزم بأن هذا ما أراده الله ﷻ من الآيات.

٣- أن الأصل عدم صرف النص عن ظاهره إلا بدليل واضح، وليس لديهم دليل على تأويلاتهم في سياق التثنية.

٤- أنه قد تنوعت النصوص من كتاب الله وسنة نبيه ﷺ على إثبات يدين لله تبارك وتعالى، ووصفها بأوصاف تمنع تأويلها بالقدرة أو النعمة كما تقدم.

٥- أن من لغة العرب استعمال الواحد في الجمع، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾ العصر:٢. والجمع في الواحد كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ ۝١٧٣﴾ آل عمران:١٧٣. فالناس الأولى يقصد بها شخص واحد، وهو نعيم بن مسعود الأشجعي، والناس الثانية هم عسكر قريش . والجمع في الاثنين كقوله تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدۡ صَغَتۡ قُلُوبُكُمَا﴾ التحريم:٤.

ولكنها لم تستعمل الواحد في الاثنين، فلا تقول عندي رجل، وأنت تعني رجلين، ولم تستعمل الاثنين في الواحد، فلا تقول عندي رجلان، وأنت تعني به جنس الرجال. فلا يجوز تأويل اليدين بالقدرة؛ لأن القدرة صفة واحدة، ولا يجوز أن يعبر بالاثنين عن الواحد. ولا يجوز تأويل اليدين بالنعمة، لأن نعم الله ﷻ لا تحصى ولا تعد، وعلى ذلك فلا يجوز أن يعبر بالاثنين عن الجمع، مما يبطل

تأويل اليدين بالنعمة أو القدرة.

وأما عن الآيات الثلاث التي أوردها طه العفيفي فقد أمرنا الله ﷻ برد المبهم إلى المحكم. وقد أحكم الله ورسوله إثبات يدين حقيقتين، فعلينا أن نرد الآيات إلى ما أحكم، فالمحكم من الآيات الثلاث التي أوردها هو قوله تعالى: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ المائدة:٦٤. أما قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ أَنۡعَٰمٗا﴾ يس:٧١. فالمقصود من الجمع التعظيم، وهذا وارد في لغة العرب، فلما قال في بداية الآية: خلقنا، قال: أيدينا. ولما قال: خلقت، قال: بيدي.

وأما قوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوۡقَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ الفتح:١٠. وقوله ﷻ: ﴿بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ﴾ آل عمران:٢٦. وقوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ﴾ المائدة:٦٤. فإطلاق اليد هنا من باب تسمية الشئ باسم سببه، فقد تكون بمعنى القدرة، لأن القدرة هي أثر فعل اليد، يقال: فلان له يد في كذا وكذا، أي له قدرة، ومن لوازم اليد للرحمن القوة والخير والسَّح..الخ، ولا يقال: يد، لمن ليس له يد.

أما قوله تعالى: ﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ المائدة:٦٤. وقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ ص:٧٥. فلا يمكن أن تأول بالقدرة أو النعمة؛ لأن تركيب السياق يمنع ذلك، والتأويل هنا تحريف للكلم عن مواضعه [(١)].

---

(١) انظر مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ص ٤١١ بتصرف.

• **الرد على الأشعرية في تأويلهم للعينين بالرعاية.**

قال بعض الأشعرية المعاصرين الذين يجعلون إثبات ما أثبته الله ﷻ لنفسه من الصفات تشبيها وتجسيما: (وليت شعري، أيثبت هؤلاء الجاهلون كل ما ورد من تلك الظواهر، فيثبتون له عينا بمقتضى قوله تعالى: ﴿وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ ٣٩﴾ طه:٣٩. أما أعينا بمقتضى قوله تعالى: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ القمر:١٤) [1].

هذا الأشعري يحاول أن يجعل النصوص الثابتة في صفة العينين تدل على أمور معنوية لا حقيقة لها ولا وجود، وقد دل كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وإجماع أهل العلم على أن الله تعالى موصوف بأن له عينين حقيقة على ما يليق بجلاله وعظمته.

وقد جاء ذكر العين وصفا لله تعالى في القرآن مفردة مضافة إلى ضمير المفرد، كما جاءت مجموعة مضافة إلى ضمير الجمع كما في هاتين الآيتين، ولم يأت ذكر العين وصفا لله تعالى في القرآن مثناه ولكن جاء ذلك في السنة.

قال ابن القيم: (ذكر العين مفردة لا يدل على أنها واحدة، ليس إلا كقولك: أفعل هذا على عيني، لا يريد أن له عينا واحدة، ولما أضيفت العين إلى اسم الجمع ظاهرا أو مضمرا حسن جمعها مشاكلة للفظ، كقوله تعالى: ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا﴾ القمر:١٤. وقوله: ﴿وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ

---

(١) حق الله على العباد للشيخ العفيفي ص١٠٣.

﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ هود:٣٧. وهذا نظير لفظ اليد المضافة إلى المفرد كقوله: ﴿بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ الملك:١. وقوله: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ آل عمران:٢٦.

ولما أضيفت إلى ضمير الجمع جمعت كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا﴾ يس: ٧١) [(١)].

وقال ابن جرير في معنى قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾ طه:٣٩. أي بمرأى مني ومحبة وإرادة. وهذا نظير لفظ اليد المضافة إلى المفرد. وقال ابن جرير في معنى قوله تعالى: ﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾. ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾. يقول جل ثناؤه: تجري السفينة التي حملنا نوحا فيها بمرأى منا ومنظر [(٢)].

ومن الأحاديث التي تثبت العينين لله ﷻ كما يليق بجلاله ما رواه البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: (ذُكِرَ الدَّجَّال عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَال: إِنَّ اللهَ لا يَخْفَى عَلَيْكُمْ، إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إلى عَيْنِهِ، وَإِنَّ المَسِيحَ الدَّجَّال أَعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَى، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ) [(٣)].

ووجه دلالة الحديث أن العور فقد أحد العينين وذهاب نورها،

---

(١) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم ١/٢٥٥.
(٢) تفسير الطبري ٢٢/٥٨١، نشر مؤسسة الرسالة، تحقيق أحمد شاكر.
(٣) البخاري في كتاب الفتن، باب ذكر الدجال برقم (٧١٢٧).

فهذا يدل على أن لله ﷻ عينين حقيقيتين كما يليق بجلاله دون تمثيل أو تكييف، وغير معنويتين دون تعطيل أو تحريف.

فهذه الصفات الخبرية يجب إثباتها لله سبحانه وتعالى على ما يليق بجلاله من غير مشابهة المخلوقين، فكما أنه حي وحياته لا تشبه حياة المخلوقين، فكذلك وصف الله ﷻ باليدين والعينين وغيرهما من الصفات، نثبتها بالكيفية التي تليق بجلاله كما ورد الخبر في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، مع اعتقادنا أنه سبحانه ليس كمثله شئ.